السحر

أسباب عذاب القبر

السحر

الحمد لله رب العالمين: الذي شمل إحسانه كل حي، فكيف إنعامه؟ إنعامه ملأ الوجود وزاد، فكيف رحمته؟ رحمته وسعت كل شيء، فكيف جنته؟ جنته عرضها السماوات والأرض، فكيف عرشه؟ عرشه فوق السبع الطباق، فكيف وجهه؟ وجهه ذو الجلال والإكرام، فكيف هو؟ قال ﷻ :{وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌ وَفِي الأَرْضِ إِلَهٌ وَهُوَ الحَكِيمُ العَلِيمُ* وَتَبَارَكَ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السماوات وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَعِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ} [الزخرف: ٨٤، ٨٥].

سبحانه: حفظ عباده المخلصين من همزات الشيطان، ومن نزعات المضلين، ولم يجعل لإبليس اللعين سلطاناً على عباده المخلصين، فقال ﷻ :{إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلاَّ مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الغَاوِينَ} [الحجر: ٤٢].

وقال ﷻ :{فَإِذَا قَرَأْتَ القُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بالله مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ * إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ * إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُم بِهِ مُشْرِكُونَ} [النحل: ٩٨ - ١٠٠].

وقال ﷻ :{إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ وَكَفَى بِرَبِّكَ وَكِيلاً} [الإسراء: ٦٥].

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له: بين لنا أن الساحر لن يكتب له الفلاح في الدنيا البتة، فقال ﷻ :{وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوا إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدُ سَاحِرٍ وَلاَ يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى} [طه: ٦٩].

وأشهد أن سيدنا محمداً ﷺ : بين لنا أن الصلاة لن تقبل لمدة أربعين يوماً ممن ذهب إلى عراف، فروى مسلم أن الرسول ﷺ قال:«مَنْ أَتَى

عَرَّافًا فَسَأَلَهُ عَنْ شَيْءٍ، لَمْ تُقْبَلْ لَهُ صَلاَةٌ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً».

فاللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد ﷺ وعلى آله وصحابته أجمعين.

أما بعد: أخوة الإسلام

ما زال الحديث موصولاً في أسباب عذاب القبر، وها نحن اليوم مع سبب آخر من أسباب عذاب القبر ألا وهو: السحر.

فأعيروني القلوب والأسماع والأبصار، والله ﷻ أسأل أن يجعلني وإياكم ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

أحبتي في الله:

بداية وقبل أن تتناول موضوعنا اليوم، يجب علينا أن نقف على بعض الحقائق، هي الأساس في موضوعنا.

الحقيقة الأولى: إن الله ﷻ اختص لنفسه بأشياء، لا يجوز لنا نحن البشر أن نشاركه فيها أو نزاحمه فيها، ومن هذه الأشياء التي اختص الله ﷻ لنفسه علم الغيب، فالله ﷻ قد جعل علم الغيب لنفسه فقط، فمن ادعى أنه يعلم الغيب فقد كفر بالله ﷻ، فليس هناك موجود على وجه الأرض يشارك الله ﷻ في علم الغيب، سواء أكان هذا الموجود نبياً مرسلاً، أو ملكاً مقرباً، أو ولياً صالحاً.

ولقد أشار المولى ﷻ إلى هذه الحقيقة فقال:{وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لاَ يَعْلَمُهَا إِلاَّ هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلاَّ يَعْلَمُهَا وَلاَ حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الأَرْضِ وَلاَ رَطْبٍ وَلاَ يَابِسٍ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ} [الأنعام: ٥٩].

وقال ﷻ :{قُل لاَّ يَعْلَمُ مَن فِي السماوات وَالأَرْضِ الْغَيْبَ إِلاَّ الله وَمَا

يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ} [النمل: ٦٥].

وقال ﷻ :{إِنَّ اللهَ عِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَداً وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ} [لقمان: ٣٤].

وقال ﷻ :{عَالِمُ الغَيْبِ فَلاَ يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَداً * إِلاَّ مَنِ ارْتَضَى مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَداً * لِيَعْلَمَ أَن قَدْ أَبْلَغُوا رِسَالاتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَى كُلَّ شَيْءٍ عَدَداً} [الجن: ٢٦: ٢٨]

ولقد أشارت السنة النبوية إلى هذه الحقيقة أيضاً، فروى البخاري ومسلم أن الرسول ﷺ قال:«مِفْتَاحُ الْغَيْبِ خَمْسٌ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا اللهُ: لَا يَعْلَمُ أَحَدٌ مَا يَكُونُ فِي غَدٍ، وَلَا يَعْلَمُ أَحَدٌ مَا يَكُونُ فِي الْأَرْحَامِ، وَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَدًا، وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ، وَمَا يَدْرِي أَحَدٌ مَتَى يَجِيءُ الْمَطَرُ».

ولكن على الرغم من هذه الحقيقة إلا أننا نرى في هذه الأيام قد كثر التهجمُ على الغيب، وصار علمُ الغيب صنعةً لكل عاطلٍ، ووظيفةً لكل دجالٍ طامعٍ.

فلقد انتشر الدجالون في مجتمعنا يتاجرون بالغيب، ويدعون معرفةَ المستقبل، والإطلاع على ما تأتي به الأيام، فيسلبون العقولَ، ويُفسِدون العقائدَ، ويسرقون أموالَ الناس، ويأكلونها بالباطل.

الحقيقة الثانية: هل السحر حقيقة أم خيال؟ اختلف العلماء في حقيقة السحر هل هو حقيقة أم خيال إلى فريقين.

الرأي الأول: ذهب جمهور العلماء إلى أن السحرَ حقيقةٌ، فقال القرطبي: ومذهب أهل السنة والجماعة أن السحرَ ثابتٌ وله حقيقة، وقد اتفق على هذا أهلُ الحل والعقد، الذين ينعقد بهم الإجماع.

واستدل أصحاب هذا الرأي بقول الله ﷻ :{وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ

عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولاَ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلاَ تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُم بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلاَّ بِإِذْنِ اللهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلاَ يَنفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الآخِرَةِ مِنْ خَلاقٍ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ} [البقرة: ١٠٢].

فقد أخبر الله ﷻ في هذه الآية أن الشياطين يعلمون الناس السحر، وأن الناس يتعلمون منهم، فإذا لم يكن للسحر حقيقة فماذا يُعلِمون وماذا يتعلم الناس؟.

وقد أمرنا الله ﷻ بالاستعاذة من السحر، فقال ﷻ :{قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ * مِن شَرِّ مَا خَلَقَ * وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ * وَمِن شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ * وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ} [الفلق: ١ - ٥].

فلو كان السحر خيالاً ما أمر الله ﷻ بالاستعاذة منه.

الرأي الثاني: ذهب أصحاب هذا الرأي إلى القول بأن السحر خيالٌ وليس حقيقة، واستدلوا بقول الله ﷻ :{قَالَ أَلْقُوا فَلَمَّا أَلْقَوْا سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ وَاسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَاءُوا بِسِحْرٍ عَظِيمٍ} [الأعراف: ١١٦].

وقال ﷻ :{قَالَ بَلْ أَلْقُوا فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَى} [طه: ٦٦].

وقالوا بأن السحرة لا يقدرون أبداً على قلب حقائق الأعيان، كتحويل الحصى إلى ذهب، أو كتحويل الورق إلى أموال، ولو كانوا يملكون ذلك، لكانوا أغنى الناس، وما تحايلوا على أكل أموال الناس بالباطل.

والحق الذي يجب أن يقال: أن السحر منه ما هو حقيقة، ومنه ما هو خيال لا حقيقة له، فالسحر الحقيقي هو الذي يعتمد فيه الساحر

على الجن والشياطين، وعبادة النجوم والكواكب، وكلما ازداد الساحر كفراً وزندقة، ازداد الجن والشيطان له طاعة.

وسحر الخيال الذي لا حقيقة له في الواقع مبني على الأخذ بالعيون، فترى الشيءَ على خلاف ما هو عليه في الحقيقة.

قال ابن كثير: وإن سحر سحرة فرعون كان من هذا النوع، وقد جاءت النصوص القرآنية بأنه كان تخيلاً وأخذاً بالعيون، فقال ﷻ: {قَالَ أَلْقُوا فَلَمَّا أَلْقَوْا سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ وَاسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَاءُوا بِسِحْرٍ عَظِيمٍ} [الأعراف: ١١٦].

وقال ﷻ: {قَالَ بَلْ أَلْقُوا فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَى} [طه: ٦٦].

الحقيقة الثالثة: هل سُحر النبي ﷺ حقاً؟

نعم لقد سحر الرسول ﷺ، فروى البخاري ومسلم وغيرهما عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها قَالَتْ سُحِرَ النَّبِيُّ ﷺ حَتَّى كَانَ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ أَنَّهُ يَفْعَلُ الشَّيْءَ وَمَا يَفْعَلُهُ، حَتَّى كَانَ ذَاتَ يَوْمٍ دَعَا وَدَعَا، ثُمَّ قَالَ:«يا عائشة أَشَعَرْتِ أَنَّ الله أَفْتَانِي فِيمَا فِيهِ شِفَائِي»، قالت عائشة رضي الله عنها: وما ذاك يا رسول الله؟.

قال ﷺ:«أَتَانِي رَجُلَانِ فَقَعَدَ أَحَدُهُمَا عِنْدَ رَأْسِي وَالْآخَرُ عِنْدَ رِجْلَيَّ، فَقَالَ أَحَدُهُمَا لِلْآخَرِ: مَا وَجَعُ الرَّجُلِ، قَالَ: مَطْبُوبٌ (أي مسحور) قَالَ: وَمَنْ طَبَّهُ؟، قَالَ: لَبِيدُ بْنُ الْأَعْصَمِ، قَالَ: فِي مَاذَا؟ قَالَ: فِي مُشُطٍ وَمُشَاطَةٍ (والمشاطة أي الشعر المتساقط من الرأس واللحية عند ترجيلهما) وَجُفِّ طَلْعَةِ ذَكَرٍ (أي على الغشاء الذي يكون على الطلع) قَالَ: فَأَيْنَ هُوَ؟ قَالَ: فِي بِئْرِ ذَرْوَانَ».

فَخَرَجَ إِلَيْهَا النَّبِيُّ ﷺ، ثُمَّ رَجَعَ، فَقَالَ لِعَائِشَةَ رضي الله عنها حِينَ رَجَعَ:«كأن ماءَها نُقاعةُ الحِنَّاء، وكأن رُءُوسَ نخْلِها رؤُوسُ الشَّيَاطِينِ»، فَقُلْتُ: اسْتَخْرَجْتَهُ؟، فَقَالَ ﷺ:«لَا، أَمَّا أَنَا فَقَدْ شَفَانِي الله، وَخَشِيتُ أَنْ يُثِيرَ ذَلِكَ عَلَى النَّاسِ شَرًّا، ثُمَّ دُفِنَتْ الْبِئْرُ».

ويجب أن يعلم الجميع: أن سحر الرسول ﷺ لا يتعارض البتة مع قول الله ﷻ :{والله يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ} [المائدة: ٦٧]؛ لأن الرسول ﷺ معصومٌ باتفاق الفقهاء في جانب الرسالة والتشريع؛ لأن الله ﷻ يقول:{وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى * إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوحَى} [النجم: ٣، ٤].

وأما بالنسبة إلى الأعراض البشرية كأنواع الأمراض والآلام، والإصابة في المعارك، فهذا لا يقدح في مقام النبوة، ولا ينافي العصمة، وجميع الأنبياء يعتريهم من ذلك ما يعتري البشر جميعاً.

الحقيقة الرابعة: إن السحر ليس فيه فائدة البتة، بل هو ضار على الساحر نفسه وعلى المسحور، ولقد أشار المولى ﷻ إلى هذه الحقيقة، فقال:{وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلاَ يَنفَعُهُمْ} [البقرة: ١٠٢].

بل الأمر الذي يجب أن نعلمه ونحفظه: أن الساحر لا يستطيع أن يفيد أحداً، أو يضر شخصاً إلا بإذن الله ﷻ، ولقد أشار المولى ﷻ إلى هذا الأمر، فقال:{وَمَا هُم بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلاَّ بِإِذْنِ اللهِ} [البقرة: ١٠٢].

وبيَّن النبي ﷺ هذا الأمر حتى نكون على بينة من أمر الساحر، روى الترمذي أن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كنت خلفت رسول الله ﷺ يوماً، فقال:«يا غلام: إني أعلمك كلمات، احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، إذا سألت فاسأل الله ﷻ، وإذا استعنت فاستعن بالله ﷻ، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، ولو اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، رُفِعَتِ الأَقْلامُ وَجَفَّتِ الصُّحُفُ».

الحقيقة الخامسة: ما هو السحر؟ السحر كما قال ابن قدامة: هو عُقد ورقى وكلام يتكلم به الساحر، ويكتبه، أو يعمل شيئاً يؤثر في بدن المسحور أو قلبه، أو عقله، من غير مباشرة له، وللسحر حقيقة، فمنه ما يقتل، ومنه ما يُمرض، وما يأخذ الرجل عن زوجته فيمنعه وطأها، ومنه ما يُفرق بين المرء وزوجه، وما يُبَغِّضُ أحدَهما إلى الآخر، أو يُحبب بين اثنين.

أخوة الإسلام:

لقد قام الشرع الحنيف بشن حملة مرعبة على السحر وأهله، فقد حكم القرآن الكريم على السحر بأنه كفر، بل حكم بالكفر على الساحر نفسه أيضاً، ووصف الله ﷻ طريق السحر بأنه بئس الطريق، طريق الحسرة والندامة، طريق من سلكه عرض نفسه لغضب المنتقم الجبار، فقال ﷻ :{وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولاَ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلاَ تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُم بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلاَّ بِإِذْنِ اللهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلاَ يَنفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الآخِرَةِ مِنْ خَلاقٍ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ} [البقرة: ١٠٢].

قال الإمام الذهبي: الساحر لا بد وأن يكفر؛ إذ ليس للشيطان الملعون غرض في تعليمه الإنسان السحر إلا ليُشرك بالله ﷻ، وترى خلقاً كثيراً من الضلال يدخلون في السحر ويظنونه حراماً فقط، وما يشعرون أنه الكفر.

قال ابن حجر: وقد استُدِل بهذه الآية على أن السحر كفر، ومتعلمه كافر، وخصوصاً إذا كان طريقه التعبد للشياطين والكواكب.

ولم يقف الأمر عند هذا الحد، بل نجد أن الله ﷻ كتب عدم الفلاح البتة على الساحر، فقال ﷻ :{قَالَ مُوسَى أَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَكُمْ أَسِحْرٌ هَذَا وَلاَ يُفْلِحُ السَّاحِرُونَ} [يونس: ٧٧].

وقال ﷻ :{وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوا إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدُ سَاحِرٍ وَلاَ يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى} [طه: ٦٩].

بل أعلن الله ﷻ التحدي للساحر وما يفعله، فحكم بالبطلان على عمله وعدم صلاحه، فقال ﷻ :{فَلَمَّا أَلْقَوْا قَالَ مُوسَى مَا جِئْتُم بِهِ السِّحْرُ

إِنَّ اللهَ سَيُبْطِلُهُ إِنَّ اللهَ لاَ يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ} [يونس: ٨١].

ولقد عد الرسول ﷺ السحر من الأشياء المهلكة، فروى البخاري ومسلم أن الرسول ﷺ قال:«اجْتَنِبُوا السَّبْعَ الْمُوبِقَاتِ»، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، وَمَا هُنَّ؟، قَالَ ﷺ :«الشِّرْكُ بِاللهِ، وَالسِّحْرُ، وَقَتْلُ النَّفْسِ الَّتِي حَرَّمَ اللهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ، وَأَكْلُ الرِّبَا، وَأَكْلُ مَالِ الْيَتِيمِ، وَالتَّوَلِّي يَوْمَ الزَّحْفِ، وَقَذْفُ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ الْغَافِلَاتِ».

وفي حديث آخر عد الرسول ﷺ السحر من الكبائر، فروى الطبراني أن الرسول ﷺ قال رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللهِ، وَكَمِ الْكَبَائِرُ؟، قَالَ ﷺ :«هِيَ تِسْعٌ: أَعْظَمُهُنَّ الإِشْرَاكُ بِاللهِ، وَقَتْلُ الْمُؤْمِنِ بِغَيْرِ حَقٍّ، وَالْفِرَارُ يَوْمَ الزَّحْفِ، وَقَذْفُ الْمُحْصَنَةِ، وَالسِّحْرُ، وَأَكْلُ مَالِ الْيَتِيمِ، وَأَكْلُ الرِّبَا، وَعُقُوقُ الْوَالِدَيْنِ الْمُسْلِمَيْنِ، وَإِحْلالُ الْبَيْتِ الْحَرَامِ، قِبْلَتُكُمْ أَحْيَاءً وَأَمْوَاتًا، لا يَمُوتُ رَجُلٌ لا يَعْمَلُ هَذِهِ الْكَبَائِرَ، وَيُقِيمُ الصَّلاةَ، وَيُؤْتِي الزَّكَاةَ، إِلا رَافَقَ مُحَمَّدًا بِحبوحة جنةٍ، أبوابُها مصاريع الذهب».

وجعل الرسول ﷺ تعلم السحر من الكبائر أيضاً، فروى ابن حبان أن الرسول ﷺ قال:«وإن أكبر الكبائر عند الله يوم القيامة: الإشراك بالله، وقتل النفس المؤمنة بغير الحق، والفرار في سبيل الله يوم الزحف، وعقوق الوالدين، ورمي المحصنة، وتعلم السحر، وأكل الربا، وأكل مال اليتيم».

ولقد أعلن الرسول ﷺ براءته من الساحر، فروى البزار والطبراني أن الرسول ﷺ قال:«ليس منا من تطير، أو تطير له، أو تكهن، أو تكهن له، أو سحر، أو سحر له، ومن أتى كاهناً فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد ﷺ».

ولم يقف الأمر عند هذا الحد، بل حكم الرسول ﷺ بعدم قبول الصلاة لمدة أربعين يوماً لمن ذهب للساحر، فروى مسلم أن الرسول ﷺ قال:«مَنْ أَتَى عَرَّافًا فَسَأَلَهُ عَنْ شَيْءٍ، لَمْ تُقْبَلْ لَهُ صَلاةٌ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً».

بل حُكم عليه في حديث آخر بالكفر، فروى البزار وأبو يعلى

بإسناد جيد موقوف عن ابن مسعود ﷺ قال: " من أتى عرافاً، أو ساحراً، أو كاهناً، فسأله، فصدقه بما يقول، فقد كفر بما أنزل على محمد ﷺ ".

وعلى الرغم من هذا كله: إلا أننا بمجرد أن نسمع عن أحد يعمل بالسحر، أو قد يعالج بعض الأمراض التي يعجز الطب عن علاجها، ويروج له دعاةُ السوء المأجورون وضعاف الإيمان، وينشرون بين الناس أن الشيخ الفلاني قد شفى فلاناً بتراب عتبة داره، أو وظف فلاناً بورقة من الشجرة، أو جعل العاقرَ التي لا تلد ولوداً، إلى غير ذلك من السخافات والخرافات التي لا يصدقها عقل، ولا يقرها دين.

عند ذلك نجد كثيراً من الناس ينهالون عليه، ويزدحمون على بابه، ويهرع إليه الجاهلون والجاهلات، والمتعلمون والمتعلمات من ضعاف العقول والإيمان، ونسى الجميع الله ﷻ الذي يقول:{أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الأَرْضِ أَإِلَهٌ مَّعَ اللهِ قَلِيلاً مَّا تَذَكَّرُونَ} [النمل: ٦٢].

ونسى الجميع قول الله ﷻ :{وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ} [البقرة: ١٨٦].

ونسى الجميع قول الله ﷻ :{وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ} [غافر: ٦٠].

أخوة الإسلام:

تعالوا معي لنتعرف على كيفية الوقاية من السحر.

أولا: الاستعانة بالله ﷻ :

فالواجب على كل مسلم يريد الوقاية من السحر عليه أن يستعين بالله ﷻ، وأن يتوجه بقلبه إلى ملك الملوك، وجبار السماوات والأرض، فالله ﷻ هو المرتجى، وهو الملجأ والملاذ، ولا حول ولا

قوة إلا به، فمن اعتمد عليه كفاه، ومن سأله أعطاه، ومن استعان به أعانه على مصائب الدنيا والدين، فقال ﷻ :{أَلَيْسَ اللهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ} [الزمر: ٣٦].

وقال ﷻ :{وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا} [الطلاق: ٣].

قال ابن القيم: أن المدرس سأل تلاميذه كيف يستعيذون من كلب الحراسة؟ فقال أحدهم: أضربه حجراً، فقال الأستاذ: إذا يعاودك، أو يخطئه حجرك؟ فقال الآخر: أحمل في جلبابي أعداداً من الحجارة، كلما هم بالقرب مني ناولته واحداً تلو الآخر، فقال: لن تسلم منه، بل ستشتد عداوته لك، فقال الآخر النجيب الفاهم: أنادي علي صاحب الغنم والكلب، وأطلب منه أن يأذن لي بالمرور من عنده، فقال المدرس: ذلكم الرأي الصائب، ألا من أراد منكم أن يدفع عن نفسه السحر وشره، فليستعذ بالله ﷻ، فالله ﷻ أقدر وأجدر بدفعه عنك.

ثانيا: تحقيق العبودية لله ﷻ :

فمن حقق العبودية لله ﷻ وحده، فلا سلطان للشيطان عليه، فالعبادة تجب أن تكون لله ﷻ وحده، سواء أكانت عبادة مالية كالذبح والنذر والزكاة والصدقة، وسواء أكانت عبادة بدنية كالصلاة والصيام، وسواء أكانت عبادة قلبية كالخشوع والخضوع والذل والمحبة والتوكل، وسواء أكانت عبادة قولية كالحلف والدعاء والاستعاذة، فهذه كلها عبادات يجب أن تصرف لله ﷻ.

فمن حقق العبودية لله ﷻ فلا يؤثر فيه السحر البتة، فها هو عمر ابن الخطاب ﷺ كان الشيطان يهرب منه، فروى البخاري ومسلم أن سَعْدَ بْنَ أَبِي وَقَّاصٍ ﷺ قَالَ: اسْتَأْذَنَ عُمَرُ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ وَعِنْدَهُ نِسَاءٌ مِنْ قُرَيْشٍ يُكَلِّمْنَهُ وَيَسْتَكْثِرْنَهُ، عَالِيَةً أَصْوَاتُهُنَّ، فَلَمَّا اسْتَأْذَنَ عُمَرُ ﷺ، قُمْنَ يَبْتَدِرْنَ الْحِجَابَ، فَأَذِنَ لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ، وَرَسُولُ اللهِ ﷺ

يَضْحَكُ، فَقَالَ عُمَرُ ﷺ : أَضْحَكَ اللهُ سِنَّكَ يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ ﷺ : (عَجِبْتُ مِنْ هَؤُلَاءِ اللَّاتِي كُنَّ عِنْدِي، فَلَمَّا سَمِعْنَ صَوْتَكَ ابْتَدَرْنَ الْحِجَابَ)، قَالَ عُمَرُ ﷺ : فَأَنْتَ يَا رَسُولَ اللهِ كُنْتَ أَحَقَّ أَنْ يَهَبْنَ، ثُمَّ قَالَ: أَيْ عَدُوَّاتِ أَنْفُسِهِنَّ، أَتَهَبْنَنِي وَلا تَهَبْنَ رَسُولَ اللهِ ﷺ ؟، قُلْنَ: نَعَمْ، أَنْتَ أَفَظُّ وَأَغْلَظُ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ، قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ مَا لَقِيَكَ الشَّيْطَانُ قَطُّ سَالِكًا فَجًّا، إِلَّا سَلَكَ فَجًّا غَيْرَ فَجِّكَ».

ويروى أن رجلاً من بني إسرائيل وكان من العباد، وقد علم أن قوماً يعبدون شجرة، فأخذ فأساً وذهب ليقطعها، فقابله إبليس في الطريق إليها؟، فسأله: إلى أين أنت ذاهب؟ قال: إني ذاهب إلى الشجرة التي علمتُ أنها تعبد من دون الله ﷻ؛ لأقطعها، فقال له إبليس: لن تقطعها، فقال العابد: لا بد من قطعها، ثم قاتل العابد إبليس، فصرعه، فلما رأى إبليس أن العبد قد صرعه بقوة إيمانه وإخلاصه، احتال عليه فقال له: إنك رجل فقير ومحتاج إلى المال، فارجع إلى محرابك، ودع أمر الشجرة لأحد غيرك، ولو شاء الله ﷻ قطعها لأرسل رسولاً لقطعها، ثم قال له: ولك مني مقابل هذا ديناران كل ليلة، فاقتنع العابد بهذا، ثم عاد إلى محرابه، ففي الليلة الأولى وجد الدينارين، وفي الليلة الثانية وجد الدينارين، وفي الليلة الثالثة لم يجد شيئاً، فخرج غاضباً ليقطع الشجرة، فقابله إبليس فقال له: إلى أين؟ فقال: إني ذاهب إلى الشجرة لأقطعها، فقال له إبليس: لن تقطعها، فقال العابد: لا بد من قطعها، ثم قاتله، فصرعه إبليس، فتعجب العبد، ثم قال لإبليس: لماذا غلبتك أولاً، ثم غلبتني ثانياً؟ فقال إبليس: لأن غضبك أولاً كان لله ﷻ، وغضبك ثانياً كان للدينارين.

بل أعلن الله ﷻ أن من حقق العبودية له وحده، فلا سبيل للشيطان عليه، فقال ﷻ :{إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلاَّ مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الغَاوِينَ} [الحجر: ٤٢].

وقال ﷻ :{فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ * إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ * إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُم بِهِ مُشْرِكُونَ} [النحل: ٩٨ - ١٠٠].

وقال ﷻ :{إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ وَكَفَى بِرَبِّكَ وَكِيلاً} [الإسراء: ٦٥].

ثالثا: قراءة سورة البقرة:

فروى مسلم أن الرسول ﷺ قال:«لاَ تَجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ مَقَابِرَ، إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْفِرُ مِنَ الْبَيْتِ الَّذِي تُقْرَأُ فِيهِ سُورَةُ الْبَقَرَةِ».

رابعا: قراءة آية الكرسي إذا أويت إلى فراشك:

روى البخاري عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: وَكَّلَنِي رَسُولُ اللهِ ﷺ بِحِفْظِ زَكَاةِ رَمَضَانَ، فَأَتَانِي آتٍ فَجَعَلَ يَحْثُو مِنْ الطَّعَامِ، فَأَخَذْتُهُ وَقُلْتُ: واللهِ لأَرْفَعَنَّكَ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ، قَالَ: إِنِّي مُحْتَاجٌ وَعَلَيَّ عِيَالٌ، وَلِي حَاجَةٌ شَدِيدَةٌ، قَالَ: فَخَلَّيْتُ عَنْهُ، فَأَصْبَحْتُ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : «يَا أَبَا هُرَيْرَةَ مَا فَعَلَ أَسِيرُكَ الْبَارِحَةَ؟»، قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ شَكَا حَاجَةً شَدِيدَةً وَعِيَالاً فَرَحِمْتُهُ، فَخَلَّيْتُ سَبِيلَهُ، قَالَ:«أَمَا إِنَّهُ قَدْ كَذَبَكَ وَسَيَعُودُ»، فَعَرَفْتُ أَنَّهُ سَيَعُودُ لِقَوْلِ رَسُولِ اللهِ ﷺ إِنَّهُ سَيَعُودُ، فَرَصَدْتُهُ فَجَاءَ يَحْثُو مِنْ الطَّعَامِ، فَأَخَذْتُهُ فَقُلْتُ: لأَرْفَعَنَّكَ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ، قَالَ: دَعْنِي، فَإِنِّي مُحْتَاجٌ وَعَلَيَّ عِيَالٌ، لا أَعُودُ فَرَحِمْتُهُ فَخَلَّيْتُ سَبِيلَهُ، فَأَصْبَحْتُ، فَقَالَ لِي رَسُولُ اللهِ ﷺ :«يَا أَبَا هُرَيْرَةَ مَا فَعَلَ أَسِيرُكَ؟»، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ شَكَا حَاجَةً شَدِيدَةً وَعِيَالاً، فَرَحِمْتُهُ فَخَلَّيْتُ سَبِيلَهُ، قَالَ:«أَمَا إِنَّهُ قَدْ كَذَبَكَ وَسَيَعُودُ»، فَرَصَدْتُهُ الثَّالِثَةَ، فَجَاءَ يَحْثُو مِنْ الطَّعَامِ، فَأَخَذْتُهُ فَقُلْتُ: لأَرْفَعَنَّكَ إِلَى رَسُولِ اللهِ، وَهَذَا آخِرُ ثَلاثِ مَرَّاتٍ، أَنَّكَ تَزْعُمُ لا تَعُودُ ثُمَّ تَعُودُ، قَالَ: دَعْنِي أُعَلِّمْكَ كَلِمَاتٍ يَنْفَعُكَ اللهُ بِهَا، قُلْتُ: مَا هُوَ؟، قَالَ: إِذَا أَوَيْتَ إِلَى فِرَاشِكَ فَاقْرَأْ آيَةَ الْكُرْسِيِّ:{اللهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ}حَتَّى تَخْتِمَ الآيَةَ، فَإِنَّكَ لَنْ يَزَالَ عَلَيْكَ مِنْ اللهِ حَافِظٌ، وَلا يَقْرَبَنَّكَ شَيْطَانٌ حَتَّى تُصْبِحَ، فَخَلَّيْتُ سَبِيلَهُ، فَأَصْبَحْتُ، فَقَالَ لِي رَسُولُ اللهِ ﷺ :«مَا فَعَلَ أَسِيرُكَ الْبَارِحَةَ؟»، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ زَعَمَ

أَنَّهُ يُعَلِّمُنِي كَلِمَاتٍ يَنْفَعُنِي اللهُ بِهَا، فَخَلَّيْتُ سَبِيلَهُ، قَالَ ﷺ :«مَا هِيَ؟» قُلْتُ: قَالَ لِي: إِذَا أَوَيْتَ إِلَى فِرَاشِكَ فَاقْرَأْ آيَةَ الْكُرْسِيِّ مِنْ أَوَّلِهَا حَتَّى تَخْتِمَ الآيَةَ،{اللهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الحَيُّ القَيُّومُ} وَقَالَ لِي: لَنْ يَزَالَ عَلَيْكَ مِنَ اللهِ حَافِظٌ، وَلا يَقْرَبَكَ شَيْطَانٌ حَتَّى تُصْبِحَ، وَكَانَ أَحْرَصَ شَيْءٍ عَلَى الْخَيْرِ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ :«أَمَا إِنَّهُ قَدْ صَدَقَكَ وَهُوَ كَذُوبٌ، تَعْلَمُ مَنْ تُخَاطِبُ مُنْذُ ثَلاَثِ لَيَالٍ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ؟»، قَالَ: لا، قَالَ:«ذَاكَ شَيْطَانٌ».

خامسا: قراءة خواتيم البقرة:

وهما قول الله ﷻ :{آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللهِ وَمَلاَئِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لاَ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ * لاَ يُكَلِّفُ اللهُ نَفْساً إِلاَّ وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لاَ تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلاَ تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْراً كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلاَ تُحَمِّلْنَا مَا لاَ طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنتَ مَوْلاَنَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ} [البقرة: ٢٨٥، ٢٨٦].

لما رواه البخاري ومسلم أن الرسول ﷺ قال:«من قرأ بالآيتين من آخر سورة البقرة في ليلة كفتاه» أي من كل شر ومن الشياطين.

سادسا: قراءة المعوذات:

لما رواه البخاري عَنْ عَائِشَةَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ إِذَا أَوَى إِلَى فِرَاشِهِ كُلَّ لَيْلَةٍ، جَمَعَ كَفَّيْهِ ثُمَّ نَفَثَ فِيهِمَا، فَقَرَأَ فِيهِمَا:{قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ} و{قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الفَلَقِ} و{قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ} ثُمَّ يَمْسَحُ بِهِمَا مَا اسْتَطَاعَ مِنْ جَسَدِهِ، يَبْدَأُ بِهِمَا عَلَى رَأْسِهِ وَوَجْهِهِ، وَمَا أَقْبَلَ مِنْ جَسَدِهِ، يَفْعَلُ ذَلِكَ ثَلاَثَ مَرَّاتٍ.

وروى أبو داود والترمذي عَنْ مُعَاذِ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ خُبَيْبٍ عَنْ أَبِيهِ أَنَّهُ قَالَ: خَرَجْنَا فِي لَيْلَةِ مَطَرٍ وَظُلْمَةٍ شَدِيدَةٍ نَطْلُبُ رَسُولَ اللهِ ﷺ لِيُصَلِّيَ لَنَا، فَأَدْرَكْنَاهُ فَقَالَ:«أَصَلَّيْتُمْ»، فَلَمْ أَقُلْ شَيْئًا، فَقَالَ:«قُلْ» فَلَمْ أَقُلْ شَيْئًا، ثُمَّ قَالَ:«قُلْ»، فَلَمْ أَقُلْ شَيْئًا، ثُمَّ قَالَ:«قُلْ»، فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللهِ:

مَا أَقُولُ؟ قَالَ:{قُلْ هُوَ الله أَحَدٌ} وَالْمُعَوِّذَتَيْنِ حِينَ تُمْسِي وَحِينَ تُصْبِحُ، ثَلاَثَ مَرَّاتٍ، تَكْفِيكَ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ».

أخوة الإسلام:

تعالوا معي لنتعرف على العقوبات التي أعدها الله ﷻ للساحر:

العقوبة الأولى: القتل:

فذهب جمهور الفقهاء إلى أن الساحر المسلم إذا سحر بنفسه بكلام يكون كفراً، يُقتل ولا يستتاب، ولا تقبل توبته، لأنه أمر يستتر به كالزنديق والزاني، ولأن الله ﷻ سمى السحر كفراً، فقال ﷻ :{وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولاَ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلاَ تَكْفُرْ} [البقرة: ١٠٢].

العقوبة الثانية: عدم استجابة الدعاء:

روى أحمد أن الرسول ﷺ قال:«كَانَ لِدَاوُدَ نَبِيِّ الله ﷺ مِنْ اللَّيْلِ سَاعَةٌ يُوقِظُ فِيهَا أَهْلَهُ، فَيَقُولُ: يَا آلَ دَاوُدَ قُومُوا فَصَلُّوا، فَإِنَّ هَذِهِ سَاعَةٌ يَسْتَجِيبُ الله فِيهَا الدُّعَاءَ، إِلاَّ لِسَاحِرٍ أَوْ عَشَّارٍ».

العقوبة الثالثة: براءة الرسول ﷺ منه:

فروى البزار والطبراني أن الرسول ﷺ قال:«ليس منا من تطير، أو تطير له، أو تكهن، أو تكهن له، أو سحر، أو سحر له، ومن أتى كاهناً فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد ﷺ».

العقوبة الرابعة: عدم المغفرة لذنوبه:

روى الطبراني في الأوسط والكبير أن الرسول ﷺ قال:«ثلاث من لم يكن فيه واحدة منهن، فإن الله يغفر له ما سوى ذلك لمن يشاء: من مات لا يشرك بالله شيئاً، ولم يكن ساحراً يتبع السحرة، ولم يحقد على أخيه».

العقوبة الخامسة: عدم دخول الجنة:

روى ابن حبان أن الرسول ﷺ قال:«لا يدخل الجنة مدمن خمر، ولا مؤمن بسحر، ولا قاطع رحم».

* * *